« محمد عبده»

طرد الشيخ محمد عبده من أستاذية دار العلوم بسبب آراءه الجريئة ومعارضته للطغمة الحاكمة. وشجاعته فى الرأى.

وإستمر فترة طويلة دون عمل خلت يده من النقود. فآواه صاحب مقهى كان صديقاً وأخذ ينفق عليه. فلما عاد إلى العمل مرة أخرى وقبض مرتبه دفع به إلى صديقه صاحب المقهى وطلب منه أن ينفق على كليهما من المرتب.. وها كذا لا يضيع المعروف عند الرجال..

« الشيخ على يوسف ، نجيب إسكندر، وتوفيق آفندى كيرلس»

صحفى من زمن الصحافة الراقية ولأنه صاحب الرأى الجرئ والكلمة الحرة وتصحيح المواقف وحبه لوطنه وكرهه لكل مستغل له وطامع فيه. فلقد كانت له معارك ضخمه مع هذه الطغمة المسيطرة على أوضاع البلاد والعباد وكحركة تأديب له وللقضاء على جورناله وكان يسمى (المؤيد) فرضوا عليه منع الأخبار عنه من الطرق الرسمية والأجنبية حتى خلت الجريدة من كل ما يهم المواطن المصرى من الأخبار. حاول الشيخ الوصول إلى الأخبار عن طريق بعيد عن أعين الحكومة والأجانب. فذهب إلى مكتب

تلغراف الأزبكية وأتفق مع السيد/ نجيب إسكندر رئيس هذا المكتب على مده بكل البرقيات فى السر ودون معرفة أحد بالأمر وكان على رأس هذه الأخبار والتى منعت عن (المؤيد) بأمر من وزارة الداخلية هذه الحملة المرسلة إلى دنقلة فى السودان سنة ١٨٩٦م. فلقد كان هناك تلغراف يحتوى على ٥٦٦ كلمة بتفاصيل الحملة إستغرق إستقباله وكتابته سبع ساعات كامله. قام بعدها السيد توفيق أفندى كيرلس بإعطاء نسخة للشيخ على يوسف قبل أن تصل إلى الجهة المصدرة إليها بناء على أمر من السيد نجيب وقامت قيامة الدولة. فأمرت بإجراء تحقيق ضد موظفى المكتب. وأسفر التحقيق عن. تهمة إفشاء أسرار الدولة العسكرية. وجهت إلى السيد توفيق أفندى كيرلس.. وسيق إلى المحكمة ولكنه ثبت ثبوت الرجال الواثقين فى وطنيتهم.. وكان الضغط شديد عليه والتهديد عنيف فطلب لقاء الأب تادرس أفندى شنوده وكان صاحب جريدة مصر فى هذا الوقت. ومنافساً لجريدة المؤيد وعلى يوسف ولما كان اللقاء. قال توفيق أفندى كيرلس ـ إنى أعلم أن جريدتك منافسة لجريدة الشيخ على ولكنى أسألك كأب ومصرى.. ماذا أفعل وهذا الخطر يحيق بى.؟

فقال له الأب تادروس.. هل قلت الحق..

قال.. نعم.

فقال له.. أثبت. فأن تقول الحق ويصيبك الضرر. خير من أن تنال النعمة وتكذب على الله..

وثبت الرجل.. وكان موقفاً مشرفاً. لرجل مصرى..

«كلمة رجل لإبنه»

عبد العزيز بن مروان والد الخليفة الخامس من الخلفاء الراشدين. فلقد كانت ولاية عمر للإمارة هى على نهج الخلافاء الراشدين الأربعة فكان خامسهم بلا منازع.. لما تولى الخلافه.. أمر حاجب بيت المال قائلاً..

أقسم فى ولد فاطمة رضوان الله عليهم عشرة آلاف دينار فقد طالما تخطتهم حقوقهم.. وكانوا هم على حق.. وبنى أمية وبنى مروان على الباطل..

وكان إحقاق الحق هذا.. لهذا الحوار الذى دار بينه وبين أبيه عبد العزيز بن مروان يوماً. فى قصته هذه..

كان أبى عبد العزيز بن مروان إذا خطب فنال من على تلجلج..

فقلت يا أبى.. إنك تمضى فى خطبتك فإذا أتيت على ذكر على بن أبى طالب عرفت منك تقصيراً..؟

فقال له.. أو فطنت إلى ذالك يا عمر..؟

فقال عمر.. نعم. فقال .. يا بنى إن الذين حولنا لو يعلمون من على بن أبى طالب ما نعلم. لتفرقوا عنا إلى أولاده.

وكان إعتراف الرجال.

من عبد العزيز بن مروان.. إلى ابنه عمر بن عبد العزيز.. الخليفة العادل حفيد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب..

ومن عمر بن عبد العزيز. إلى الأمة..

وهذه خلق الرجال.. والتى تمناها جده الفاروق رضوان الله عليهم أجمعين.

صدق الموعظة من الرجل

فى حوار بين أبى جعفر المنصور الخليفة العباسى وبين الإمام جعفر بن محمد «الصادق» من نسل أمير المؤمنين على بن أبى طالب وبعد فتنة كادت تقع لواشى قد وشى به عند الخليفة وبعد أن نفى التهمة عنه بالحق.. قال لأبى جعفر المنصور..

نحن أنصار وأعوان. وللملك دعائم وأركان. ما أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر. وأمضت فى الرعية أحكام القرآن. وأرغمت بطاعتك أنف الشيطان. ويجب عليك فى سعة فهمك. وكثرة علمك ومعرفتك بآداب الله. أن تصل من قطعك. وتعطى من حرمك. وتعفو عمن ظلمك. فإن الكافى ليس بالواصل.. إنما الواصل من إذا قطعته رحمه وصلها. فصل رحمك. يزد الله فى عمرك. ويخفف عنك الحساب يوم حشرك. وعليك بالحلم فإنه ركن العلم. وأملك نفسك عند أسباب القدرة فإنك إن تفعل ما قدرت عليه كنت كمن شفى غيظاً وداوى حقداً. وأحب أن يُذكر بالصولة. وأعلم أنك إن عاقبت مستحقاً. لم يكن غاية ما توصف به إلا العدل. والحال التى توجب الشكر أفضل من الحال التى توجب الصبر..

تلك آداب الله. وأسباب الحكم الصالح. وملاك السيطرة للحاكم المسلم على قلوب الرعية.. فهل كان «الصادق» الناصح إرهابياً فى وجه أبو جعفر المنصور..

وهل كان الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز إرهابياً فى وجه أبيه لما حدثه بالحقيقة وهل كان آل على بن أبى طالب.. قبله وقبل خلافته إرهابيون وهو الذى أقر لهم بالفضل والمنزلة. وهو إمتداد لحكم سابقيه من خلفاء بنى العباس.. سبحان الله..

ولكنها مواقف الرجال فى الحق. مهما كان سراً.

فى حوار آخر..

بعد ذلك بزمان وصلت وشاية أخرى إلى الخليفة أبى جعفر المنصور ضد الإمام جعفر بن محمد الصادق فارسل اليه ليسأله عنها فلما حضر بين يديه كان هذا الحوار بينهما وبين الواشى..

المشهد..

إبى جعفر المنصور على كرسيه..

جعفر بن محمد الامام الصادق.. يجلس على كرسى بجوار سرير الملك..

المواجهة..

أبى جعفر المنصور - يا جعفر ما هذه الأموال التى يجبيها لك المعلى بن خنيس..؟

الصادق: معاذ الله. ما كان من ذلك شىء.

المنصور: تحلف على براءتك بالطلاق والعتاق..؟

الصادق: نعم أحلف بالله ما كان من ذلك شيء.

المنصور: بل تحلف بالطلاق والعتاق.

الصادق:ألا ترضى بيمين. الله الذى لا إله إلا هو.؟

المنصور: لا تتفقه علىّ.

الصادق: وأين يذهب الفقه منى.؟

المنصور: دع عنك هذا فإنى أجمع الساعة بينك وبين الرجل الذىرفع عنك هذا حتى يواجهك..

الصادق: هذا أفضل..

فأتوه بالرجل. فقال الصادق:

الصادق:تحلف أيه الرجل أن الذى رفعته عنى صحيح..؟

قال الرجل: نعم. ثم بدأ باليمين. فقال:

والله الذى لا إله إلا هو الغالب الحى القيوم.

فقال الصادق..لا تعجل فى يمينك فإنى مستحلفك

فقال المنصور.. ما تنكر عليه من هذه اليمين..؟

فقال الصادق. إن الله تعالى حى كريم إذا أثنى عليه عبده. لا يعاجله بالعقوبة ولكن قل أيها الرجل.

ابرأ إلى الله من حوله وقوته. وألجأ إلى حولى وقوتى. إنى لصادق بر فيما أقول.

قال المنصور للرجل..إحلف بما إستحلفك به أبو عبد الله..

يقول شهود الوقعه..

فلم يتم الرجل يمينه بالصيغة التى أملاها عليه الصادق حتى خر ميتاً..

فأرتعدت فرئض المنصور..

وقال للصادق.. سر من عندى إلى حرم جدك لو إخترت ذلك.

وإن إخترت المقام عندنا لم نأل جهداً فى إكرامك.

فوالله لا قبلت بعدها قول أحداً أبداً فيك..

فى حوار ثالث :

فى مجلس جمع أبو جعفر المنصور والإمام الصادق ..

ذب الخليفة الذباب عن وجهه.. ثم سأل حاضريه مستنكراً..

ـ لما خلق الله الذباب.؟

فقال الإمام جعفر ابن محمد الصادق..ليذل به الجبابرة..

(وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه. ضعف الطالب والمطلوب)

فسكت أبى جعفر ولم يعلق.

كلمــة الحــق

سئل الحسن البصرى يوماً. أن يقول كلمة فى عبد الملك بن مروان.. فقال: ماذا أقول فى رجل الحجاج إحدى سيئاته..

رغم أن عبد الملك بن مروان كان قبل الخلافة ورعاً تقياً فقيهاً حتى أن عبد الله بن عمر قال فيه..

إن لمروان إبناً فقيهاً فاسألوه..

لكنه بعد الخلافة صار ظلوماً غشوماً. أدخلت عليه الأسرى ذات يوم فأمر بضرب أعناقهم. فقال له رجل من أهله كان حاضراً الموقف وكان يعرف إيمانه ورأفته وحريه على الناس وتنسكه..

- لقد أقست الخلافة قلبك.

فقال عبد الملك. كلا. ولكن أقساه الضغن بعد الضغن. وكان عبد الملك يستنكر ضرب جيوش يزيد بن معاوية للكعبة سنة ٦٣ هـ فى حصار مكة. حتى إذا تولى ضربها بإسمه الحجاج سنة ٧٣ بعد عشر سنين.

فكان جواب الامام الحسن البصرى على سائلة..

ماذا أقول فى رجل. الحجاج إحدى سيئاته.

كلمة حق فى وجه سلطان قاتل

الكلمة.. كلمة مفتى الديار العثمانية وقاضى قضاتها..

فى وجه..

السلطان سليم العثمانى والذى كان الأمر بالقتل عنده كمن يلقى تحية السلام على الناس. مثال:

قال له رئيس وزرائه يوماً.. وكان يسمى برى باشا الصدر الأعظم.

يا مولانا. فنى مالنا وعساكرنا فى حربهم. وتبقى لهم أوقافهم يستعينون بها علينا.؟. وكان هذا شبه نقد..

وكانت رجل السلطان فى الركاب فأشار إلى الجلاد. وقبل أن يستوى على الجواد كانت رأس الصدر الأعظم على الأرض.. لم يبالى لها. لذا كان الرجل إذا سمى للوزارة. كتب وصيته وأعد كفنه وودع أهله وكذا كل من يعين لمكان قريب من السلطان. فلقد كان الرجل يخرج لا يدرى هل سيعود إلى أهله ماشياً. أم محمولاً. حتى كانت مقولة الناس الشعبية: من أراد الموت فليصير وزيراً للسلطان سليم..

كانت هذه حال الرجال.. فمن يجرأ على نقده ورفض أفعاله.. الشيخ. علاء الدين على بن أحمد الجمالى. شيخ الإسلام فى السلطنة دخل الديوان يوماً مغاضباً. فسأله الوزراء. فيما غضبه وما يريد فقال أريد

191

الدخول على السلطان سليم.. ولى معه كلام.

فأستأذنوا له فأذن له السلطان بالدخول وحده.. فدخل وسلم عليه وجلس. والسلطان ينظر اليه بغضب على جلوسه دون إذن منه. لكنه سكت محنقاً يرقب ما أتى به الشيخ..

فقال الشيخ.. وظيفة أرباب الفتوى أن يحافظوا على آخرة السلطان وقد أمرت بقتل مائة وخمسون رجلاً من العمال. لا يجوز قتلهم شرعاً فعليك بالعفو عنهم.

فطار الغضب بعقل السلطان من هذه الجرأة عليه ولم يعد يبصر من أمامه وكاد يأمر بضرب عنق الشيخ. والشيخ ثابت الجنان لم تطرف له شعرة بجفن. إلا أن السلطان ضبط نفسه قائلاً له..

يا شيخ إنك تتعرض لأمر السلطنة وليس ذلك من وظيفتك..

وأعرض عنه.. وأرتقب أن يكف الشيخ وينصرف. ويحمد الله أنه لم يأمر بقتله. ولكن الشيخ قال.. بل أتعرض لأمر آخرتك وإنه من وظيفتى. ومهما عشت فإنك ميت. ومعروض على الله. وواقف بين يديه للحساب.. فإن عفوت فلك النجاة. وإلا فإن أمامك جهنم. لا يعصمك ملكك. ولا ينجيك سلطانك.

وهنا شعر السلطان أن الذى يتحدث هو الإسلام الذى يحمل رايته الى بقاع الدنيا. فهدأ وخارت قواه. وجلس لحظات صامتاً. ثم نظر إلى الشيخ قائلاً:

- عفونا عنهم يا سيدى -.

وجلس المفتى يحادثه ساعة. ثم قال له...

تكلمت فى أمر آخرتك. وبقى لى كلام متعلق بالمروءة..

192

قال السلطان. ما هو.؟

قال الشيخ: هؤلاء من خدم السلطان. ولا يليق بشرف السلطنة أن يتكففوا الناس.

قال السلطان. لا.

قال الشيخ: فأعدهم إلى مناصبهم..

قال السلطان: نعم. إلا أنى أعاقبهم لتقصيرهم فى خدمتهم.

فقال الشيخ: هذا جائز لك شرعاً. لأن التعزير مفوض شرعاً إلى رأى السلطان..

ثم سلم عليه وخرج وجميع الحضور فى ذهول.. وسؤال الجميع..

كيف يخرج بعد هذه المعركة ورأسه على صدره.. بل وينفذ له ما أتى به وزيادة..

لقد ذل السلطان أمام الشيخ الضعيف. وهانت القوة أمام الحق. وخضع ملك الزمان أمام سطوة الشرع.

وهكذا عندما يتحدث الاسلام..

تخر له أعناق الجبابرة..

❖ ❖ ❖ ❖

وفى موقف آخر.. بين السلطان والشيخ..

لما أراد السلطان العودة من دار السلطنة للراحة ببلدة «أدرنة» خرج الشيخ لوداعه وتشيعه. وهو فى الطريق اليه رأى أربعمائة رجل مشدودين بالحبال. يسوقهم الجند. فسأل.

ما شأنهم..؟

193

فقالوا له: إنهم خالفوا أمر السلطان. فحكم عليهم بالقتل..

وبدلاً من أن يودعه إلتقى به وهو راكب صهوة جواده. فقال له على ملأ من الناس.

- هؤلاء لا يحل قتلهم..

فقال السلطان. أيها الشيخ إلى متى تتدخل فى أمور السلطنة. إلزم حدك وأشتغل بوظيفتك. أمالك وظيفة تقتصر عليها. أمالك عمل تعمله.

قال الشيخ: هذه وظيفتى وهذا عملى. فإن سمعت نجوت. وإلا لقيت ملكاً هو أقدر عليك منك عليهم.

وأدرا عنق دابته ومشى دون أن يودعه أو سلم عليه.. فأحمر وجه السلطان. وكاد الدم أن ينفجر من وجهه. ووقف على فرسه صامتاً مدة طويلة. وهو فى غضب لم يغضب مثله. والناس كلهم خائفون على الشيخ الذى ترك المكان مغادراً.. سكوت. لو ألقيت إبرة على التراب لسمعت رنتها..

إلا أن السلطان. قبل أن يتحرك من مكانه.. كان قد أمر..

بالعفو عنهم.

إنها قوة الإخلاص فى الله ولله.

194